أحمد أكرم مليبارى*

"كان" الناقصة
نظرة فى بعض مسائلها

أ- كان وأخواتها

هذه عدد من الأفعال الناسخة التى تدخل على جملة المبتدأ والخبر، فتلغى حكمها الإعرابى، وتجعل عليها حكما آخر يتلخص فيما يأتى:

١) يرفع الركن الأول من الجملة (المبتدأ) ويسمى اسم كان أو إحدى أخواتها.

٢) ينصب الركن الثانى من الجملة (الخبر) ويسمى خبر كان أو إحدى أخواتها.

٣) إذا كان الخبر جملة كانت فى محل نصب. أما اذا كان اسما مفردا فانه ينصب بعلامة نصب ظاهرة أو مقدرة أو على المثل على التفصيل المعروف لدينا.

وهذه الأفعال هى:

١) كان، ظل، أضحى، أصبح، أمسى، بات، صار. وتعمل العمل السابق فى كل صيغها، سواء فى ذلك الصيغ الفعلية (كان-يكون-كن، مثلا) أو الاسمية (كائن-كون، مثلا).

٢) مازال، مابرح، ما فتئ، ماانفك. ولا يأتى من هذه أمر ولا مصدر ولا صيغ اسمية. وتعمل هذه الأفعال بشرط وجود حرف نفى قبلها، سواء كانت فى صيغة الماضى أو غيرها (مازال أو لم يزل مثلا).

٣) مادام، ليس. ولا يأتى من هذين الفعلين غير هاتين الصيغتين. ويلزم وجود "ما" قبل الفعل (دام) حتى يعمل. و"ما" هذه عند النحاة مصدرية ظرفية، لأنها تؤول مع ما

---

* مدرس بكلية الآداب جامعة شريف هداية الله الإسلامية الحكومية جاكرتا

مفرد. و "ليس" مركب من "لا" و "أيس". فهي دالة على نفي الوجود. وقد نزلت في الاستعمال منزلة الكلمة الواحدة. واستعملت استعمال الأدوات. فانتهت الى أنها لا تدل الا على ما تدل عليه "لا" في النفي، وان احتفظت بخصائص الفعل الأولى، من اتصال تاء التأنيث الساكنة وضمائر الرفع: لست، ليت، ليسا، ليسوا، لسن الى غير ذلك. فأي جامع بعد هذا الذي يسطناه، يجمع بين "ليس" و "كان" في باب واحد: فتكون "ليس" من أخوات "كان".[4]

ب- التمام والنقصان

يطلق على "كان وأخواتها" عند عملها العمل المذكور أنها ناقصة. ومعنى أنها ناقصة أنها لا تعمل عمل الفعل، فترفع فاعلا وتنصب مفعولا، بل ترفع اسما هو في الأصل مبتدأ، وتنصب خبرا هو في الأصل خبر للمبتدأ. ومعنى النقصان أيضا عدم دلالة هذه الأفعال على الحدث، واقتصار دلالتها على الزمن[5] كما يتبين ذلك فيما بعد.

وعندما تكون هذه الأفعال تامة تعمل عمل الأفعال، فترفع الفاعل وتنصب المفعول إن وجد.[6] ويكون معناها الحدث والزمن معا، كما يتضح من الأمثلة الآتية: مثال "كان" التامة: "كان الله و لم يكن شئ غيره" أي وجد الله و لم يوجد شئ غيره. ومثال الناقصة: "كان الله عليما بصيرا". ومثال "أمسى" و "أصبح" التامتين: "فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون" أي حين تدخلون في المساء وحين تدخلون في الصباح. ومثال الناقصتين: "أمسيت قويا وأصبحت ضعيفا".

ومثال "مادام" التامة: "خالدين فيها مادامت السموات والأرض"، ومثال الناقصة: "سأحترمك ما دمت محترما لغيرك". ومثال "بات" التامة: "بات بالقوم" أي نزل فيهم ليلا، ومثال الناقصة "بات مسرورا". ومثال "ظل" التامة: "ظل النهار" أي دام ظله، ومثال الناقصة: "ظل قائما". ومثال "أضحى" التامة: "أضحيا" أي دخلنا في الضحى، ومثال الناقصة: "أضحيت سعيدا. ومثال "صار" التامة: "صار محمد الغلام" أي ضمه اليه، ومثال الناقصة: "صار الغلام رجلا". أما الأفعال الثلاثة الباقية وهي "فتئ"[7] و "زال" و "ليس" فهي ناقصة دائما.[8]

ج- الوظيفة الدلالية للأفعال الناقصة

ليس من شك في أن وظيفة الأفعال الناسخة لا تنحصر في مجرد أثرها الإعرابي. ولكن لها وظيفة أخرى خاصة بدلالة التركيب الذي توجد تلك الأفعال فيه.

ومن المعروف أن الدلالة على الزمن في الجملة الفعلية تؤدى بصيغة الفعل نفسها، كما تؤدى باستعمال بعض

بعدها بمصدر، كما أن فيها معنى ظرف الزمان. ويتضح هذا من المثال الاتي: "لا أكلمه مادام مخاصما لك". ويقدر المثال بعبارة "لا أكلمه مدة خصامك لك".

وفيها يتضح وجود كلمة "مدة" وهي تدل على الزمان، بدلا من "ما"، ووجود المصدر "خصام" بدلا من اسم الفاعل "مخاصما".[3]

وهذه الأفعال يتصل بها تاء التأنيث الساكنة فتقول "كانت" و "أصبحت" و "صارت" و "باتت" الى آخر الأخوات. وتتصل بها ضمائر الرفع، فتقول: "كنت" و "أصبحت" و "صرت" و "بت" الى آخرها و "كانوا" و "أصبحوا" و "صاروا" و "باتوا" الى آخرها، و "كن" و "أصبحن" و "صرن" و "بتن" الى آخرها.[3]

ومن الضروري الإشارة الى أن من يستعرض هذه الأفعال واستعمالاتها يعجب من جمعها كلها في إطار واحد، وانتظامها في باب واحد. فليست هذه الأفعال بمنزلة واحدة، لا في الدلالة ولا في الاستعمال. ولا جامع لها الا ما لاحظوه من شبه فيما يأتي بعدها. فهي تشترك في أن يليها مرفوع ومنصوب، نحو: كان زيد قائما، وظل المطر منهمرا، وصار الطين ابريقا، وليس زيد قائما، ومايزال الجو غائما الى غير ذلك. وليس هذا بالعذر، ولا هو بالمصحح لما قاموا به، وأرسلوا إرسال المسلم به.

ليست هذه الأفعال سواء في الدلالة والاستعمال. فبعضها متصرف، وبعضها جامد. والمتصرف منها بعضها تام التصرف: وهو "كان" و "صار" وبعضها ناقص التصرف، وهو ماعداهما. وبعضها نفي وهو "ليس"، وبعضها إثبات وهو ما عداها. وليس من الطبيعي أن تكون كلها بمنزلة واحدة أو أن تجمع في باب واحد.

ينبغي أن نفصل "صار" من هذه المجموعة: لأنها انما تدخل في الغالب على ما ليس أصله مبتدأ وخبرا، لأنك تقول: صار الطين ابريقا، وصار الفقير غنيا. ولو حذفت "صار" من هذين المثالين لكان الكلام: الطين ابريق، والفقير غني. وليس هذا بالمقبول. فليس الطين ابريقا، ولا الفقير غنيا.

وينبغي أن نفصل "ليس" من هذه المجموعة أيضا، لأنها تدخل على نفي أن يكون الخبر بعدها وصفا للمبتدأ في المعنى، أو يكون عين المبتدأ. فإذا قلت: محمد قائم، كان الخبر في هذه الجملة وصفا للمبتدأ في المعنى، وكان من المبتدأ كأنه: هو هو. فإذا قلت: ليس محمد قائما، فقد نفيت أن "قائما" وصف للمبتدأ. فلذلك نصب الخبر بعدها، حملا على نصب الخبر في قوله تعالى: "ما هذا بشرا"

ثم إن بين "ليس" و "كان" فرقا آخر وهو أن "ليس" بناء مركب، و "كان" بناء

٤) الأفعال التي تدل على التحول

وهذه هي "صار" وأفعال الزمن الوقتي المذكورة في رقم ٣، فإن هذه الأفعال تستعمل هذا الاستعمال أيضا، كما قد تستعمل "صار" استعمال أفعال الشروع كما في مثل: "صار مسكينا" و "أصبح مسكينا" و "أمسى مسكينا" و "أضحى مسكينا" و "بات مسكينا"، ولا تدل هذه الأمثلة الا على التحول، ومثل "صار يتكلم"، ويدل هذا المثال على البدء في الحديث والاستمرار فيه.[١٠]

د- لفظ "كان" في القرآن الكريم

وردت "كان" في الإخبار عن ذات الله وصفاته بالقرآن كثيرا. وقد اختلف النحاة وغيرهم في أنها تدل على الانقطاع على مذاهب، أحدها: أنها تفيد الانقطاع لأنها فعل يتعرى بالتجدد، والثاني: لا تفيده، بل تقتضي الدوام والاستمرار، وبه جزم ابن معط[١١] في ألفيته، حيث قال: "وكان للماضي الذي ما انقطعا". وقال الراغب في قوله تعالى: "وكان الشيطان لربه كفورا" (الاسراء: ٢٧) تبه بقوله "كان" على أنه لم يزل منذ أوجد منطويا على الكفر، والثالث: أنه عبارة عن وجود شئ في زمان ماض على سبيل الإبهام، وليس فيه دليل على عدم سابق، ولا على انقطاع طارئ. ومنه قوله تعالى: "وكان الله غفورا رحيما" (الأحزاب: ٥٠) وقاله الزمخشري في قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" (آل عمران: ١١٠) عند تفسيره للآية في الكشاف. وذكر ابن عطية في سورة الفتح أنها حيث وقعت في صفات الله فهي مسلوبة الدلالة على الزمن.

والصواب من هذه المقالات مقالة الزمخشري، وأنها تفيد اقتران معنى الجملة التي تليها بالزمن الماضي لا غير، ولا دلالة لها نفسها على انقطاع ذلك المعنى ولا بقائه. بل إن أفاد الكلام شيئاً من ذلك كان لدليل آخر.

وعلى هذا يحمل معناها فيما وقع في القرآن من إخبار الله تعالى عن صفاته وغيرها بلفظ "كان" كثيرا، مثل قوله تعالى: "وكان الله سميعا عليما" (النساء: ١٤٨)، "وكان الله واسعا عليما" (النساء: ١٣٠)، "وكان الله غفورا رحيما" (الأحزاب: ٥٩)، "وكنا بكل شئ عالمين" (الأنبياء: ٨١)، "وكنا لحكمهم شاهدين" (الأنبياء: ٧٨).

وحيث أخبر الله بها عن صفات الآدميين فالمراد التنبيه على أنها فيهم غريزة وطبيعة مركوزة في النفس، كقوله تعالى: "وكان الإنسان عجولا" (الاسراء: ١١) وقوله تعالى: "انه كان ظلوما جهولا" (الأحزاب: ٧٢).

وقد تتبع أبو بكر الرازي استعمال "كان" في القرآن الكريم، واستنبط وجوه استعمالها فقال: "كان" في القرآن على خمسة أوجه:

١) بمعنى الأزل والأبد، كقوله تعالى: "وكان الله عليما حكيما" (النساء:١٧)

الكلمات التي تدل على الزمن دلالة قاموسية مثل "أمس" و "اليوم" و "الآن" الخ. أما الجملة الاسمية فانها قد تكون مكونة من ركنين، لا يتصل أي منهما بالدلالة الزمنية كما في المثال: "أنا محمد" و "علي تلميذ". فليس في "أنا" أو في "محمد" عنصر الدلالة الزمنية. وكذلك ليس في "علي" ولا في "تلميذ". كيف نعبر إذن عن الزمن في الجملة الاسمية؟ باستعمال الأفعال الناسخة.

وهنا أمر لابد أن نتعرض له فيما يتعلق بالدلالة على زمن الحدث وهو أن الصيغة الفعلية العربية تدل على زمنين ماض وغير ماض. والزمن غير الماضي قد يكون حالا أو مستقبلا. وذلك تبعا لوجود كلمات لتحديد أيهما، مثل "الآن" و "غدا"، أو تبعا لوجود سياق يقتضي تحديد الحال أو الاستقبال. ولما كانت الدلالة على الزمن من طبيعة الصيغة الفعلية فقد استعملت الأفعال الناسخة لأداء هذه الدلالة في الجملة الاسمية.

والأفعال الناسخة في هذا على أقسام، حسب نوع الزمن الذي تدل عليه، منها:[٩]

١) الأفعال التي تدل على الزمن المجرد

تدل "كان" وحدها على الزمن المجرد. فصيغتها الماضية تدل على المضي. أما صيغة المضارعة فتدل على غير المضي. وذلك كما في المثال: "أنا العميد". والدلالة على المضي هنا تكون بإضافة صيغة "كان" الماضية: مثل: "كنت العميد". أما الدلالة على الحال فمكتسبة من صيغة الجملة الاسمية بذاتها. وللدلالة على المستقبل نأتي بصيغة المضارع من "كان" ونسبقها بالسين أو سوف، فنقول: "سأكون العميد" أو "سوف أكون العميد"

٢) الأفعال التي تدل على الزمن الوقتي

هذه هي "بات"، "أضحى"، "أصبح"، "أمسى". وتدل هذه على وقت خاص من اليوم. فبات للاستمرار في المساء والليل، وأضحى للاستمرار في الضحى، وأصبح للاستمرار في الصباح، وأمسى للاستمرار في المساء. ومن أجل تعين هذه الأفعال لوقت خاص أطلق عليها اسم "أفعال التعبير الزمني الوقتي" بينما أطلق على "كان" اسم "الفعل الزمني المجرد" أي الذي لا ترتبط دلالة الزمن فيه بوقت خاص.

٣) الأفعال التي تدل على الزمن مع الاستمرار.

هذه هي "ظل" و "مابرح" و "مافتئ" و "ماانفك" و "مادام" الى جانب الأفعال التي تدل على الزمن الوقتي: مثل: "ظل واقفا"، و "مابرح يتكلم"، و "مافتئ يلعب"، و "ماانفك يدعى المعرفة"، و "لن أكلمه مادام لا يكلمني".

٢) بالمعنى المنقطع، كقوله تعالى: "وكان في المدينة تسعة رهط" (النمل: ٤٨)، وهو الأصل في معاني "كان" كما تقول: كان زيد صالحا أو فقيرا أو مريضا أو نحوه.

٣) بمعنى الحال، كقوله تعالى: "كنتم خير أمة" (آل عمران: ١١٠) وقوله تعالى: "ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا" (النساء: ١٠٣).

٤) بمعنى الاستقبال، كقوله تعالى: "ويخافون يوما كان شره مستطيرا" (الدهر: ٧).

٥) بمعنى "صار"، كقوله تعالى: "وكان من الكافرين" (البقرة: ٣٤).[12]

وتأتي "كان" في النفي ويكون المراد بها نفي صحة الخبر لا نفي وقوعه. ولذا تؤول بمعنى "ما صح وما استقام"، كقوله تعالى: "ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض" (الأنفال: ٦٧)، وقوله تعالى: "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله" (التوبة: ١٧)؛ وقوله تعالى: "ولولا اذا سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا" (النور: ١٦).[13]

ونختم هذه الصفحات التي تحدثت عن "كان" الناقصة بالإشارة الى أنه يمكن التعبير عن بعض الأزمنة غير تلك الثلاثة المعروفة في اللغة العربية (الماضي والحاضر والمستقبل) باستخدام "كان" الناقصة. ويتضح ذلك فيما يلي من الأمثلة:

١) "عند مولد محمد كان والده قد توفي" للتعبير عن Past Perfect tense

٢) "كان أخي يلقي محاضرة عند ما وصلت بيته" للتعبير عن Past Continuous Tense

٣) "أرجو أن يكون هذا المسجد قد تم بناؤه يوم عيد الفطر المقبل" للتعبير عن Future Perfect Tense

٤) "سيكون عمر يتدرب على السباحة اذا قابلته مساء اليوم" للتعبير عن Future Continuous Tense

غير أن هذا الموضوع جدير بدراسة خاصة تقابلية يقوم بها كاتب هذا البحث أو غيره إن شاء الله.

الهوامش:

[1] عبد الرحمن محمد أيوب : دراسات نقدية في النحو العربي ص ١٦٦، وانظر مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد وتوجيه، ص. ١٧٦.

[2] عبد الرحمن محمد أيوب : دراسات نقدية في النحو العربي ص ١٦٦-١٦٧

[3] مهدي المخزومي : في النحو العربي نقد وتوجيه ص ١٧٦-١٧٧

[4] مهدي المخزومي : في النحو العربي نقد وتوجيه ص ١٧٨-١٧٩

[5] عبد الرحمن محمد أيوب : دراسات نقدية في النحو العربي ص ١٦٧ وانظر أحمد حسن كحيل : دراسات عربية ص ٢٤٩

[6] ليست هذه الأفعال عند تمامها متعدية، ولهذا لا تنصب المفعول به بل المفعولات الأخرى

[7] المقصود بها "زال" التي مضارعها "يزال" لا التي مضارعها "يزول" حيث إن هذه الأخيرة تامة دائما

[8] دراسات نقدية ص ١٦٧-١٦٨ و في النحو العربي ص ١٧٧-١٧٨

[9] دراسات نقدية ص ١٧٩-١٨٠ و قارن بفي النحو العربي ص ١٨٠

[10] دراسات نقدية في النحو العربي ص ١٨٠-١٨٢

[11] هو الشيخ زين الدين يحيى بن عبد المعطي المتوفى عام ٦٢٨ هـ وسمى ألفيته :الدرة الألفية" وأولها: يقول راجي ربه الغفور ÷ يحيى بن معط بن عبد النور وإليها أشار ابن مالك بقوله: "فالفة ألفية ابن معطي"

[12] انظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن ص ١٢٧، ١٢٧

[13] مناع القطان: مباحث في علوم القرآن ص ٢٠٩-٢١١

المراجع

أحمد حسن كحيل، دراسات عربية: القاهرة: السعادة، ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م

الزركشي: البرهان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل ابراهيم: القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٣٧٦ هـ-١٩٥٧ م

صادق الحصري، آراء وأحاديث في اللغة و الأدب، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٥٨

عبد الرحمن محمد أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٥٧

محمد أبو الفتوح شريف وعبد الرازق أبو زيد زايد، بنية الكلمة بين العربية والانجليزية، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٧

مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، بيروت: العصر الحديث، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م

مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦٤

❋ ❋ ❋ ❋

Syaiful Annan, *Kebenaran dan Tuhan*, 100 x 100 cm, 1996, cat minyak di atas kanvas

من حكم «علي» رضى الله عنه:

«المرء مخبوء تحت لسانه»

«الناس من خوف الذل فى الذل»

«الناس أعداء ما جهلوا»

«رأى الشيخ خير من مشهد الغلام»(١)

«استغن عمن شئت تكن نظيره. واحتج إلى من شئت تكن أسيره. وأحسن إلى من شئت تكن أميره»

«لا ترجون إلا ربك. ولا تخافن إلا ذنبك»

«من أيقن بالخلف جاد بالعطية»(٢)

«قصر ثيابك فإنها أنقى وأبقى»(٣)

«الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم»

«بشر مال البخيل بحادث. أو وارث»

«الإحسان يقطع اللسان»

«من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه»

«إعادة الاعتذار تذكير بالذنب»

«إذا تم العقل نقص الكلام»

«لا تتكل على المنى فإنها بضائع الحمقى»

(١) المعنى: اطلب رأي الشيوخ الذين حنكتهم التجارب فتفاد، ولا تطلب ملازمة ذوي الأوجه الغراء تُصاد.
(٢) يعني: من انتظر مكافأة وبذلا على عطيته بادر إلى العطاء، وما ذلك بالإحسان.
(٣) لا تتجاوز الحد، ولكن كن معتدلا تنج كل مكروه.